قصيدة الاستاذ شفيق بك جبري

ستون عاماً على كره تعانيها ... هدأت عنها ولم تهدأ لياليها
ما زلت منها على يأس تغالبه ... حتى طواك على الأشجان طاويها
فاطرح شدائدها عن كاهل دمت ... من جانبيه ولم تهدم عواديها
ياوقفة لك في افيائها انحدرت ... عنك العواطف مغنيها ومشجيها[1]
ناجيت فيها صباً ولت نواعمه ... بدلت شيخوخة منه تناجيها
فتوة ملئت بؤساً نضارتها ... وكبرة أفمعت سقماً حواشيها
أهبت بالموت من سقم ومن شجن ... كأنما الموت آمال تناغيها
فنم هنيئاً فلا جسم تراوحه ... تلك الشجون ولا نفس تغاديها

* * *

غنت قوافيك بالاحزان مائجة ... تكاد تنطق عن بؤس اغانيها
على قريضك من أناتها أثر ... اراه يفصح عن اقصى مراميها
مافي اغاريدها ان ناح نائحها ... الا تهاويل من شكوى تزجيها
تجهمتك الليالي في تصرفها ... ففاض شعرك في الافاق تأويها
فما تمليت في يوم مضاحكها ... ولا تمهلت الا في مباكيها
أمعنت في طلب الدنيا فما ابتسمت ... لك الحياة ولا هشت امانيها
سعت بك القدم المشؤم طالعها ... فلم تؤد الى نجح مساعيها
على نعالك من تبريحها دفع ... من نائئ الدم لم تنشف جواريها

---

(١) اشارة الى قوله رحمه الله :

وقد وقفت على الستين اسألها ... أسوفت أم اعدت حر اكفاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى وددت لوان النفس عاد بها ... من قبل أن تسأم الاشجان باريها
أو كان في مسبح الحيتان مطرحها ... أو في مسارح من هلك مآويها
المانوية لم تعتق مذاهبها ... على قوافيك رسم من اماليها
لله شعرك كم هاجت هوائجه ... بفيقة في حواشي النفس تضنيها
قذفت منه على السودان طائفة ... صورت بلواك تصويراً يُبليها
لو لحنوا البؤس في شعر نردده ... لكان بؤسك ألحانا نغنيها
ودعت دنياك توديعاً ترقرقه ... شكوى يذوب على الآلام شاكيها
فما لعينيك في لألائها انس ... وانما الأنس في أدجى دياجيها
كأنما قبرك المأنوس متسع ... لعيشك المر من جلى تقاسيها
العبقرية ما زالت معذبة ... في الشرق ما جمدت يوماً مآقيها

* * *

لكن نفسك لم تصرع جوانبها ... ظلماء من خيبة الآمال تبريها
هزأت بالعمر لم تعبأ بغمته ... وعشتها عيشة طلقاً نواحيها
داويت بالكأس آلام الحياة وهل ... بغير اشراقها قلب يداويها
لقبتها ضرة الاحزان زاكية ... غراسها مستطابات مجانيها
الكاس والطاس والصهباء مائلة ... في شعرك الطلق تزهى في مزاهيها
شتت شمل الليالي في تناولها ... على رخيم من الأنغام تحييها
لئن نظرت الى الدنيا وبهجتها ... بمقلة ما رأت الا مساويها
لقد خلعت على الأحزان مشرقة ... من الحبور طوت من شجو شاجيها
وما الحياة اذا اسودت جوانبها ... وما الليالي اذا لم يصف صافيها
خير من العمر ممدوداً سرادقه ... على الأسى لحظة تحلو ثوانيها
لله مجلسك المحشوك كم طربت ... فيه القلوب وكم بشت بواكيها
فقد تكون حزين البال متعبه ... وقد نراك ضحوك العين ساجيها
تلك الأحاديث قد ذقنا حلاوتها ... في كل نادرة سحر يحليها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تزداد حسناً اذا ازدادت روايتها رقيقة سكبت من روح راويها

* * *

لكن روحك ان جدت وان هزلت لم تنس مصر ولم تهمل مغانيها
غنت بوادي الحمى في فجر نهضته وخاضت النهضة المحمر واديها
قد كنت بلبلها الغريد هيجه غول على مصر محتل روابيها
أحببت مصر وسارت في محبتها قصائد من عباب النيل ترويها
يجول فيها هوى الفسطاط منزدحماً على فؤاد عناه خطب أهليها
أيقظت منها غفاة في مضاجعهم والشعر يوقظ في الأقوام غافيها
كم أمة رسفت في القيد أطلقها من القيود فلم تملك نواصيها
أمضك الجرح في احشاء عترتها فكنت في شعرك الريان آسيها
اردتها حرة لا النير يثقلها اذا تهادت ولا الأصفاد توهيها
فما تخوفت الا لعب لاعبها ولا تخشيت الا لهو لاهيها
فكم بكيت على مصر وحاضرها وكم حنوت على مصر وباقيها
جادت لها عينك الريا محاجرها باللؤلؤ الرطب من حان تعانيها
اذا سكت فلم تأمن هوادتها وان نطقت فلم تأمن منافيها
آسيتها يوم دنشواي وروعته يابوم دنشواي ما أبقى الأذى فيها
جلد وشنق وفي الامرين مهزلة تلك الجنايات باسم العدل جانيها
كشفت عنها غطاء كان يسترها حتى تمثل للعينين قاسيها
ضحوا بشعب بديلاً من قتيلهم تلك الجراحات لم تضمد دواميها
ويح الحضارة كم راقت ظواهرها هذي العيون وكم ساءت خوافيها
في طيها الموت خفاق سبائبه مكشوفة عن ضحاياه محاميها
ذئب تلفف في جلد الشياة وهل يخفي الذئاب طلاء في مغاطيها
خير من العلم جهل لا يشنعه عسف الشعوب وهزء من اضاحيها

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما كان شعرك الا وحي عاطفة ظل الجزيرة والاهرام موحيها
عليه من مضر الحمراء منزعة محبوكة الوشي مرصوص مبانيها
لئن جفت مصر ارض الشام واطرحت هوى العروبة كم انبت جافيها
صافحت جلق لم تنقض موائقها على البعاد ولم تنكث اواخيها
فان بكتك على جرح تعالجه فقد رأتك على الاهرام تبكيها